مُوجز جامع لأهم فوائد دروس قواعد الفلاح من هدْي النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم للشيخ حسين عبد الرازق وفَّقَه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

«وخلقَ اللهُ السماوات والأرضَ بالحقِّ ولِتُجزى كل نفسٍ بما كسبتْ وهم لا يُظلمون»

╣═══════════╬═══════════╠

الأمر الفارق المؤثِّر في حياتك ← عندما توقنُ بأنَّ ربَّك خلق السماوات والأرض بالحق، وجعل ما على الأرض زينةً لها ليبلوَنا أيُّنا أحسن عملًا، وتوقنُ بأن الساعة آتية، وأنك موقوفٌ ومسؤولٌ عن عملك، ولن يبقى لك من هذه الحياة الدنيا بكل ما فيها إلا عملُك الصالح، فلا تغرُّك الدنيا ولا تلهيك عما خُلقتَ له، وحينها يكون محياك لله وبالله وإلى الله، وتكون على بينةٍ من ربك ونورٍ وهدًى وبصيرةٍ، فتُحسنَ العمل وتسابقَ في الخيرات بإذن الله، وذلك هو أعظم الفلاح.

╣═══════════╬═══════════╠

معالمُ الفلاح وقواعدُه من هدي النبي صلَّى الله عليه وسلَّم . . . فهديه أحسن الهدي في كل أمر، في الإيمان والعبادات والمعاملات والأخلاق وتزكية النفس، وفي التعليم والإصلاح والدعوة، وفي كل أمر، وأعظم ما نطلبه من سنته صلَّى الله عليه وسلَّم هديه في الفلاح والنجاح، نتعلَّمُ منه معالمَ النجاح والفلاح في الإسلام، وتمييزَ الأعمال النافعة، والحرص على ما ينفع، واختيار المطالب والأهداف، وحفظَ الوقت وحسن الانتفاع منه، وحسن التدبير وإدارةَ العمل، والعزمَ والمبادرةَ والجدَّ والنشاطَ، والثباتَ على الخير.

╣═══════════╬═══════════╠

والمعلَم هو العلامة التي تدلُّ على الطريق، وبدونها يضِلُّ السالكُ الطريقَ ويضيعُ جهدُه ووقتُه ولا يحصل ما يطلب، والفلاح هو النجاة مما تحذر، والفوز والظفر بإدراك ما ترجو وتطلب، وهو كذلك البقاء في الخير، وقد افتُتِحتْ سورةٌ من القرآن بقول الله تبارك وتعالى: «قد أفلح المؤمنون»، وخُتمِتْ بقوله: «إنَّه لا يفلح الكافرون»؛ فالمراد من تعلم هذه المعالم أن يصِحَّ تصوُّرُك عن المراد بالفلاح، وأن يحسنَ تصرُّفُك، وتكونَ على بصيرةٍ؛ قال الله تبارك وتعالى: «أفَمَنْ يمشي مُكِبًّا على وجهه أهدى أمْ مَنْ يمشي سوِيًّا على صراطٍ مستقيم».

╣═══════════╬═══════════╠

وانظروا إلى قول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بعدما ذكر فضل المجاهد ومنزلته عند الله، قال: «والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأُقتَل، ثم أغزو فأُقتَل، ثم أغزو فأُقتَل»؛ فكانت هذه نيَّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعزمَه، ولما رأى أحدا قال لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا، تمضي عليَّ ثالثةٌ وعندي منه دينارٌ إلا شيئًا أرصُدُه لدينٍ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا»؛ فكان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم لا يسرُّه من متاع الدنيا إلا ما يؤدي به حقَّ الله، ويبتغي به ما عند الله، فمن أعظم ما نتعلمه من النبي صلى الله عليه وسلم طلبه لمعالي الأمور والسبق في الخيرات، وأنه لا يسره من متاع الدنيا إلا ما يؤدي به حق الله، ويرجو نفعَه في الآخرة.

╣═══════════╬═══════════╠

قالوا: «يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم»، قال: «أوليس قد جعلَ اللهُ لكم ما تَصَدَّقُونَ؟»، ثم ذكر لهم النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ما يقوم مقام التصدق بالمال، مما يجدون ويقدرون عليه، وفي هذا بيانٌ لحكمة الله تبارك وتعالى ورحمته في تنوع شعب الإيمان؛ فلا يبقى مسلمٌ ولا مسلمةٌ إلا ويمكنه أن يكون وليًّا لله تعالى بحسب إمكاناته ومواهبه، فميدانُ السباق إلى ولاية الله تبارك وتعالى مفتوح أمامك، لا يحجزك عنه أحد؛ قال الله تبارك وتعالى: « ألا إنَّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون»

وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحا، كما قيل كم من صديق في قباء، (القباء هو لبس الأعاجم) وكم من زنديق

في عباء، بل يوجد أولياءُ الله في جميع أصناف أمة محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع».

قلتُ: ولما كتب عبد الله العمري إلى الإمام مالك رحمه الله يحضه على الانفراد والعمل، (كأنه يقول له اترك هذا العلم الذي يشغلك عن العبادة، وانفرد واعتزل الناس، واكثر من نوافل الصيام والصلاة ونحو ذلك)، قال له الإمام مالك قاعدةً عظيمةً في باب المسابقة إلى الخيرات، قال رحمه الله: «إنَّ الله قسَّم الأعمال كما قسَّم الأرزاق، فربَّ رجلٍ فُتِح له في الصلاة ولم يُفتَح له في الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة ولم يُفتَح له في الصوم، وآخر فُتِح له في الجهاد؛ فنشرُ العلم من أفضل أعمال البرّ، وقد رضيتُ بما فُتح لي فيه، وما أظنُّ ما أنا فيه من خيرٍ دونَ ما أنت فيه من خير، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر».

وأول خطوة في الفلاح والمسارعة في الخيرات طلبُ العلم، فبالعلم تتعلَّم منازل الأعمال وفضلها وأسبابَها، فليس الأجر على مجرد المشقة أو كثرة العمل أو الوقت المبذول فيه، بل الأجر على قدر العلم بمنازل الأعمال عند الله، والعلم بواجب الوقت، وحسن الاتباع؛ فعن ابن عباس عن جويرية رضي الله عنها أن النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم خرج من عندها بكرةً حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زلتِ على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: «نعم»، قال: «لقد قلت بعدك أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مرَّاتٍ، لو وُزِنتْ بما قُلتِ منذ اليوم لوزنتْهنَّ، سبحان الله عددَ خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زِنَة عرشه، سبحان الله مدادَ كلماته».

وكذلك النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنكر على الثلاثة الذين خالفوا هديه واختاروا المشقة وتحريم الطيبات، ظنا منهم أن الأجر على قدر المشقة أو على قدر مخالفة الأهواء، فعلمهم النبي صلَّى الله عليه وسلَّم هديه، وبين لهم أنه أحسن الهدي، وأن من رغب عن سنته فليس منه، ومن هذا الباب كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن خير العمل، وعن منازل الأعمال.

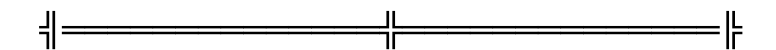
قال عليٌّ رضي الله عنه: قال لي النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «قل: اللهمَّ اهدِني وسدِّدْني، واذكرْ بالهدى هدايتَك الطريقَ، وبالسدادِ سدادَ السَّهمِ»، الهدى هو أن تعرف ما الذي ينبغي أن تطلبه، وأن تتعلم الطرق الموصلة إليه، والسدادُ أن تبلغَ ما تطلبُ وتصيبَه؛ فقبل أن تسأل ربَّك تبارك وتعالى العون والسداد، سَلْه الهدايةَ؛ فإنَّ تحديدَ الهدف ومعرفةَ الطريق هو أوَّلُ ما يحتاجه الإنسان.

وكثير من الناس لا يعرف ماذا يطلب، ولا إلى أي شيءٍ يسعى، يعيش في دوَّامة الحياة وتقلُّبات الأحداث ويتسلى ويأكل ويشرب ويقتل وقته، يتفاعل مع كل من حوله وما حوله، إلا فيما يخصُّه وينفعُه، وقد بين الله تبارك وتعالى أن الحياة الدنيا عند أكثر الناس لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ وتكاثرٌ في الأموال والأولاد، وذكر الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وغرَّتهم الحياة الدنيا، غرتهم أي خدعتهم وأشغلتهم عما كان ينبغي أن يشتغلوا به، وكنت أقول لمن حولي: إن بداية النجاح هي قول النبي صلى الله عليه وسلم احرص على ما ينفعك، وفيها أمران عظيمان: الأول أن تعرف أصلا ما الذي ينفعك، ثم تخرج من حياتك كل ما لا يعنيكَ وما لا ينفعك، وأن تضع ما ينفعك قِبلةً لك تتحر وتطلبها، والثاني أن تحرص على ما ينفعك، والحرص أن تبذل كلَّ الأسباب لتبلغ ما تطلب، لذلك علمنا الله تبارك وتعالى في الدعاء أن نقول: «إياك نعبد وإياك نستعين»، فنحدد الغاية ثم نسأل الله العون عليها.

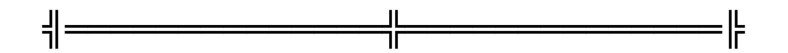
قال الله تبارك وتعالى لموسى: «لنريك من آياتنا الكبرى، اذهب إلى فرعون إنه طغى، قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري»، إلى آخر دعائه الجامع المبارك، ربنا تبارك وتعالى لما أرى موسى عليه السلام الآيتين ليكونَ على بيّنةٍ ويقين، أمرَه بأمرٍ عظيم من شأنه أن يدخل الرَّوعَ في النفس، أمره أن يذهب لأعظم ملوك الأرض وطاغيتها يومئذٍ، يصارحه بضلاله وإلى الله، فدعا عليه السلام:«رب اشرح لي صدري»، يعني وسِّعْ صدري لهذا الأمر، وأزل منه كل ما يكدره ويُوجَبُ تردُّدَه؛ فشَرْحُ الصدر للعمل أن تطمئنَّ له، وأن ترضاه، وأن تُقبلَ عليه برضا وبفرح واستبشار وجدٍّ ونشاط، وأن يسكن بالك له، وأن لا تتردد فيه ولا تغتم منه، ثم دعا: «ويسر لي أمري»، يعني اجعل أمري يسيرًا علي، ويسِّرْ أسبابَه، وأعنّي عليه، وأزِلْ موانعَه؛ فهذا الدعاء الجامع العظيم «ربِّ اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري» لا يغِبْ عن قلبك ولسانك في كل ما تطلب، ومهما توفَّرتْ لك أسباب العمل، فلن تشرعَ فيه بجدٍ إلا إذا شرحَ اللهُ تبارك وتعالى صدرَك له؛ لذلك بدأ به موسى عليه السلام، ثم ذكر سائر الأسباب.

جاء الرجل يسأل النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «ماذا فرض الله علي؟»، فلما أخبره النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، قال«والذي أكرمك لا أتطوَّعُ شيئًا ولا أُنقِصُ ممَّا فرضَ اللهُ عليَّ شيئًا»، فكانتْ هذه نيته وعزمَه، لكنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لم يعلِّقْ فلاحَ الرجل على مجرد الرغبة في الخير، بل على أن يصدِّق فعلُه قولَه؛ فقال: «أفلح إن صدق».

وعن ربيعة بن كعبٍ الأسلَميِّ رضي الله عنه قال: «كنتُ أبيتُ مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأتيتُه بوَضوئه وحاجته»، فقال لي: «سَلْ»، فقلتُ: «أسألك مرافقتَك في الجنة»، قال: «أَوْ غير ذلك؟» قلتُ: «هو ذاك»، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود». وهنا أمران: أولًا أنَّ من يصف لك الطريق لن يسلكه بدلا منك، فأنت بطل هذه القصة، وثانيًا أنه ليس بينك وبين ما تطلب مما تقدر عليه إلا هوى نفسك، فإن غلبتَه أفلحتَ.



«وأمَّا من خافَ مقامَ ربِّه ونهى النفس عن الهوى، فإنَّ الجنة هي المأوى»



كان من دعاء الاستخارة: «فاصرفه عني واصرفني عنه» لماذا تدعو بأن يصرفك الله عنه؟ لأنَّ الشيء قد يُصرف عنك ولا تُصرفُ أنتَ عنه؛ تبقى تفكِّر فيه وتتحسَّرُ على فواته وتضيِّع ما بين يديك.



قال أبو ذر: «يا رسول الله، ألا تستعملني»،قال: «فضرب بيده على منكبي» ، ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذ بحقها وأدَّى الذي عليه فيها» ، وفي رواية أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال له: «إنّي أراك ضعيفًا، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي من الخير، لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا تولَّيَنَّ مالَ يتيم»؛ في هذا الحديث ما يدلُّ على أنَّ حبَّك لأخيك ما تحبُّ لنفسك هو أن تصدُقَه النصيحة، وأن تختارَ له ما يناسبه من الأعمال، لا ما يناسبُكَ أنتَ، وفي الحديث أنَّ مَنْ لم يقدِّرِ المسافةَ بين ما يملك وما يريد، فإنَّه سيضيِّعُ ما يملِك ولن يُدركَ ما يريد، وفي الحديث أيضًا أنَّ مَنْ كان أهلًا لهذه الأمانة وكان قويًّا على حملها، يعلم أنَّه سيقوم بحقِّها، فلا حرجَ عليه أن يطلبها، بل يُستحبُّ له ذلك.

ولذلك لما قال الملك ليوسف عليه السلام: «إنَّك اليوم لدينا مكينٌ أمين» قال له: «اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظٌ عليم»؛ فمنْ كان كذلك، فهو من أحسن الناس عملًا ومن أكثرهم أجرًا. وفي ذلك الحديث المعروف، الإمام العادل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، وهكذا كان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم يولِّي العملَ من هو أحقُّ به، فالذي رأى رؤيا الأذان هو عبد الله بن زيد، والذي وافقه على رؤياه هو عمر بن الخطاب، ومع ذلك وكلَ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أمر الأذان إلى بلال بن رباح رضي الله عنهم جميعًا؛ لماذا؟ لأنه أندى صوتًا؛ هو أحسن من يقوم بها.

وإذا نظرت في حال أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، فقد أُوتيَ مزمارًا من مزامير آل داوود، ومع ذلك لم يتفرَّغْ للإمامة أو تعليمِ القرآن أو الأذان، لماذا؟ لأنَّه كان قادرًا على ما هو أنفعُ للمؤمنين منها، كان عاملًا لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على بعض أعمال اليمن، ثم استعمله عمر على البصرة، ثم استعمله عثمان، وفي هذا بيانُ أنَّ المسلم وإن كان قادرًا على أعمال كثيرة بكفاءة، فإنَّه يختار أعلاها نفعًا للمؤمنين وأكثرَها أجرًا.

وعن أبي موسى أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال له: «ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟» قال: قلتُ: «بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي»، قال:«لا حول ولا قوة إلا بالله».
لا حول ولا قوة إلا بالله، أي لا حِيلةَ ولا حركةَ ولا استطاعةَ إلا بمشيئة الله وإرادته! لا حول في دفع شرٍّ ولا قوَّةَ في تحصيل خيرٍ إلا بالله! لا حولَ عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته؛ فهذا ذكر عظيم جامع، فيه استسلام العبد وتفويضه وفقره إلى ربه تبارك وتعالى، واعترافٌ منه بأنَّ ربَّه تبارك وتعالى لا رادَّ لأمره ولا معقِّب لحُكمه، وأنَّ العبدَ لا يملك من أمره شيئًا؛ فهذا كنزٌ تستعين به على ما تطلب وتحذر، ذخيرةٌ نفيسةٌ فيها التبرُّؤُ من القوة والحِيلة، والإقرارُ بأنَّه لا يُوصَل إلى تدبير أمر أو تغيير حال إلا بمشيئة الله وعونه.

وتذكُرُ عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم إذا كان في فراشه فسمع المؤذن وثب، وفي هذا بيان عظيم لهدي المؤمن إذا دُعي إلى عملٍ صالحٍ، أن يقوم إليه بجد وعزم ومبادرة ونشاط، ولا بدَّ أن تعلم أن الشيطان عدو مضل مبين، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من مكر الشيطان بابن آدم، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»؛ فاستعن بالله تبارك وتعالى في دفع الكسل بذكر الله تبارك وتعالى وبالوَضوء وبالصلاة وبالرياضة وبتنظيم الغذاء وكذلك بصحبة الخير.

كان الصحابة في غزوة بدر، كلُّ ثلاثةٍ من الرجال يتناوبون الركوب على جمل واحدٍ لقلَّة عدد الإبل، فكان أبو لبابة، وهو رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي، وعلي بن أبي طالب، زميلَيْ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، قال ابن مسعود: «فكانت إذا جاءت نوبة نزوله صلى الله عليه

وسلم ليركب أحد زميليه، قال له: نحن نمشي عنك يا رسول الله»، أي نمشي بدلًا منك وتظلّ راكبًا، قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «ما أنتما بأقوى مني على السير» أي أنا قادر عليه ومستطيع له، «وما أنا بأغنى عن الأجر منكما»، أي ولست مستغنيًا عن أجر المشي في سبيل الله تبارك وتعالى، وفضلًا عما في هذا الحديث من حسن خلق رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وحسن الصحبة والمواساة في الرفقة والتواضع لله، إلا أنَّه بيانٌ جليٌّ على حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على الازدياد من العمل الصالح وأنَّه لا يستغني عن فضل الله تبارك وتعالى؛ فلا تزهدْ في عمل صالح أتيح لك وأنت قادر عليه، ولا تحقِرَنَّ من المعروف شيئًا.

عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قام على المنبر فقال: «إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض» ثمَّ ذكر زهرة الدنيا، فقام رجل فقال: «يا رسول الله، أوَ يأتي الخير بالشر؟» فسكت عنه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، قلنا: يُوحى إليه، وسكت الناس، كأنَّ على رؤوسهم الطير، ثم إنه مسح عن وجهه الرَّحَضَاءَ، فقال: «أين السائل آنفا؟ أوَ خيرٌ هو؟ أَوَ خير هو؟ أَوَ خيرٌ هو؟ إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وفي رواية إن الخير لا يأتي بالشر، وإنه مما يُنبتُ الربيعُ ما يقتلُ حَبَطًا أو يُلِمّ، إلا آكلةَ الخَضِر، أكلتْ حتى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت الشمس فثَلَطَت وبالتْ ثم رتعتْ، وإنَّ هذا المال خضرة حلوة، ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل، ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة».

في هذا الحديث، خاف النبي صلَّى الله عليه وسلَّم على أمَّته مما يُفتح عليهم من بركات الأرض ومن زهرتها، يعني من خيرها، ويقصد بذلك المال، لأنه قد يُفتن به صاحبه، وقد يشغله عما خُلِق له، وشبَّه ما يفتح من الدنيا بالزهرة؛ لأنها سريعة الذبول، وكذلك الدنيا لا تبقى، كما قال الله تبارك وتعالى: «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطامًا».

وفي سؤال الرجل: «أَوَ يأتي الخير بالشر؟»، يريدُ أن يقول: يا رسول الله، إن كان هذا المال من الله تبارك وتعالى عطاء، والمرء قد ينال هذا العطاء من حِلِّه؛ فكيف يكون عليه شرًّا؟ فأُوحيَ إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بهذا الجواب الجامعِ العظيم، فقال له: «أَوَ خيرٌ هو؟ أَوَ خيرُ هو؟ أَوَ خيرُ هو؟» يعني: هل ما يُعطاه الإنسانُ من زهرة الدنيا يكون خيرًا دائما؟! إنَّما هو فتنة وابتلاء، وإنما يكون خيرًا أو شرًا على صاحبه بحسن تصرُّفه أو بسوء تصرفه؛ فلذلك قال بعده: «إن الخير لا يأتي إلا بالخير»، ثمَّ بيَّنَ له بمثالين يعلمهما السائل، كيف يكون العطاء خيرًا أو شرًا بحسن التصرف أو سوء التصرف، فقال: « وإنَّه ممَّا يُنبتُ الربيعُ ما يقتلُ حَبَطًا أو يُلِم»، الربيع هو الجدول الذي يُسقى به الزروع، نهرٌ صغير يتفرع من النهر الكبير، وتنبتُ بسببه الزروع والأعشاب، والحَبَطُ هو الألم، يعني أن تأكلَ الدابَّةُ من العشب حتى يُنفخَ لذلك بطنُها، فما تنبته الأرض هو عطاء، ومع ذلك منه ما تُقتَل به البهيمة أو يضرها ضررًا يقارب الموت، مثل البقول التي تستكثر منها الماشية فتضرّها ولا تُخرجها بيسر وتهلك بسببها، يعني بسوء تصرفها، وهذا المثل يعني أن الاستكثار من المال والخروجَ عن حدِّ الاقتصاد فيه يجعله شرًّا على صاحبه، وضرب هذا مثلًا للحريص على جمع المال، المانع له من حقه، المشغول به عن طاعة الله.

وكم من إنسان كان على هدى وصلاح ومسار في الخيرات، فلما وُسِّع عليه شُغِل عن الطاعات، وعاش على الملهيات، وفُتِّحَتْ له أبواب من الشر كانت مُغلَقةً عليه؛ لأنه لم يكن قادرًا عليها، أو طغى بماله وتكبر، أو صار عبدًا لماله، يجمعه لا يعبأ أجمعه من حلال أم من حرام! وهذا ما ذكره الله تبارك وتعالى في قوله: «ومنهم من عاهد الله لئِنْ آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ ولنَكُونَنَّ من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخِلوا به وتولَّوْا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون».

والمثل الثاني هو حسن التصرف والاقتصاد في الأخذ والإنفاق، قال: «إلا آكِلةَ الخَضِر، فإنها أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلتْ عينَ الشمس فثَلَطَتْ وبالتْ ثم رتعتْ»، آكِلَةُ الخَضِر، الخَضِر هو نوع من الكلأ يُعجب الماشية، وقال: امتلأت خاصرتها، وهما جانبا البطن، واستقبلت عين الشمس، وهذا من أحسن حالاتها سكونًا وسكينةً، لماذا؟ لأنها إذا أكلت تريد أن تهضم، فهي إذا استقبلت عين الشمس أعانها ذلك على الهضم، بخلاف المثال الأول، فهي تأكل من غير اقتصاد حتى تصاب بالانتفاخ فتموت، وقوله: «فثَلَطَتْ»، يعني ألقت ما في بطنها رقيقًا عَفْوًا من غير مشقة، وقوله: «ثم رتعت» أي رجعتْ لتأكلَ مرَّةً أخرى، وهي خفيفة الحركة، تذهب وتجيء، لماذا؟ لأنها تأخذ بحكمة واقتصاد، ولا يحملها توفُّرُ العشب على أن تأخذ ما لا تحتاجه فتهلك في الأخذ والإخراج، إذًا يبقى لها نفعُ ما أكلت ويخرج فضولُه ولا تتأذَّى به، فتأخذ خيرَه وتسلم من شرِّه؛ فكذلك المقتصد من هذا المال ومن زهرة الدنيا، فإنه يأخذه بحقه، وهو في قناعة ورضا، وإنْ أخذَ كثيرًا فإنَّه يفرِّقُه في وجوهه وحقوقه وفي مرضاة الله، فهذا لا يضرُّه ما أخذَ من الدنيا، كما أنَّ ما تأخذُه آكِلةُ الخَضِر لا يضرُّها، وتُلقي ما في بطنها من غير مشقَّة، وصاحبُ المال هذا نالَ خيرَه وسَلِمَ من شرِّه؛ فكان بركةً عليه ونِعْمَ الصاحب في الدنيا والآخرة، وأما من أخذه بغير حقِّه، فلنْ يباركَ اللهُ تبارك وتعالى له فيه، ولن يقنعَ ولو أُعطيَ كنوز الدنيا، وهو كالملهوف الذي لا يشبع من الطعام مهما أكل منه، فالحرام خبيثٌ لا يُرضي ولا يُسعِد ولا يَكفي، ويأتي شاهدًا عليه يوم القيامة، بحرصه وإسرافه وإنفاقه فيما لا يرضي الله، فيكون عذابًا عليه في الدنيا والآخرة، كما قال الله تبارك وتعالى: «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا»، وفي الآية الأخرى قالَ: «والذين يَكْنِزون الذهب والفضَّة ولا يُنفقونها في سبيل الله فبشِّرْهم بعذابٍ أليم، يوم يُحمى عليها في نار جهنَّم فتُكوى بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورُهم هذا ما كنزتُم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنِزون». إذًا، فما يتوفر

للإنسان من المال والعطايا والمواهب والقدرات، إنما هو ابتلاء لينظر الله تبارك وتعالى عملَ الإنسان فيه، فإن أخذه بحقه واتقى الله تبارك وتعالى فيه، وأُعينَ به على معاشه ودينه، فهو نعمةٌ في حقه، وأما من لم يأخذْه بحقِّه، أو أخذه بحقِّه لكنَّه طغى به وتكبَّر، أو لم يتقِّ الله تبارك وتعالى فيه، أو منعَ حقَّه، أو استعملَه في غير طاعة الله، كان شرًّا عليه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه وحبيبه أبي طالب: «يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمةً أشهد لك بها عند الله»، وفي رواية: «كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله»، سبحان الله! ظلَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يدعو عمَّه حبيبَه إلى الإسلام من أول البعثة وإلى أن حضرته الوفاة، يريد له الهدى، يريد أن يُنقِذَه من النار، فأعظمُ علامةٍ على الحبِّ الصادق أن تنفعَ حبيبك في دينِه، وأن تسعى في وقايته من النار، فكلُّ شخصٍ تحبُّه ولا تسعى فيما ينفعُه في دينه فحبُّك له ناقص، وخيرُ ما تقدِّمه لأحبابك: أمك، أبيك، أخيك، أهلك، ولدك، صديقك، أن تعينَه على دينه، أن تعلِّمَه، أن تشجِّعَه، أن تسهِّل له سُبُلَ الاستقامة، أن تتابعه، أن تعاونه في ذلك، ثم يأتي بعد ذلك كلُّ رعاية وإكرام.

ولو أنَّ شخصًا قدَّم لحبيبه كلَّ أصناف المتعة والراحة والإكرام، ولم يكنْ صادقًا معه في أمر دينه، وهو مقصِّرٌ في حقه أعظمَ تقصير، بل هو غاشٌّ له، وكمْ ممَّنْ يبحث عن تفاصيل إسعاد والديه وراحتهما في الدنيا، وربما أنفق عليهم للسفر للنزهة في أوروبا مثلًا، وسكَّنَهم في أفخمِ الفنادق، وأطعمَهم في أفخمِ المطاعم، وهو نفسه لا يشغلُه الاهتمامُ بصلاتِهما أو عبادتِهما، ولم يسعَ في أن يَحُجَّ بهما بيت الله الحرام ولو مرة، يعني لم يحجَّ بهم حجَّةَ الإسلام! وإذا نظرتَ في هدي الصالحين، لوجدت أن الاهتمام بدينِ من يحبُّون هو أعظمُ ما يقدِّمون لهم، ويأخذون بأسبابه!

فهذا نوحٌ عليه السلام قال: «يا بنيَّ اركبْ مَعَنا ولا تكنْ مع الكافرين» وإبراهيم عليه السلام قال لأبيه: «يا أبتِ لا تعبدِ الشيطانَ إنَّ الشيطان كان للرَّحمنِ عَصِيًّا، يا أبتِ إنِّي أخافُ أن يمسَّك عذابٌ من الرَّحمنِ فتكونَ للشيطان وليًّا»، ودعا ربه: «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام»، وذاك يعقوبُ عليه السلام لما حضرته الوفاة جمع أبناءه، فقال لهم: «ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحنُ له مسلمون»؛ فالوالد الذي يبحثُ عن أفضل الأسباب والفُرَص ليعلِّمَ ولدَه ما يظنُّ أنَّه يؤمن به مستقبله في دنياه الفانية، ولا يعلِّمه ما يجعله صالحًا يتولاه اللهُ تبارك وتعالى به، ولا يعلِّمه ما ينقذُه به من النار، فهو الخاسر حقًّا! «قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة»؛ لأنَّ كلَّ مصيبةٍ من مصائب الدنيا هيِّنة، وأعظمُ المصائب هي مصائب الدين، ولذلك في دعاء المؤمنين « ربَّنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرِّياتنا قرَّة أعين» يعني تقَرُّ أعيننا بهم إذا كانوا صالحين يعملون بطاعة الله؛ فالمؤمن لو جُمع له كل ما في الدنيا، فلن تقر عينه إلا بصلاح أهله وولده.

سُئل الحسن البصري رحمه الله: «يا أبا سعيد، ما هذه القرَّة الأعين، أفي الدنيا أم في الآخرة؟» قال: «لا، بل والله في الدنيا، أن يرى الله العبد من زوجته، من أخيه، من حميمه طاعة الله، لا والله، ما شيءٌ أحبَّ إلى المرء المسلم من أن يرى ولدًا أو والدًا أو حميمًا أو أخًا مطيعا لله عز وجل!»

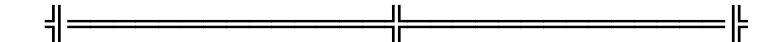
قلتُ: وسيبقى إلى يوم الدين خير الناس للناس من دعاهم إلى سبيل الله، وأعانهم عليه، وبصَّرهم عند الفتن، وثبتهم عند الشدائد، وأوصاهم بالحق، وأوصاهم بالصبر، وهم الذين قال الله فيهم: «وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون».

أتيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ في رَهْطٍ منَ الأشعريِّينَ نستحمِلُهُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ:«واللَّهِ ما أحملُكُم وما عِندي ما أحملُكُم عليهِ» قالَ: «فلبِثنا ما شاءَ اللَّهُ»، ثمَّ أُتِيَ بإبلٍ ، فأمرَ لَنا بثلاثةِ ذَودٍ غرِّ الذُّرَى، فلمَّا انطلَقنا، قالَ بعضُنا لبَعضٍ: «أتَينا رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ نستَحملُهُ ، فحلفَ ألَّا يحملَنا ، ثمَّ حملَنا ، ارجِعوا بنا» فأتيناهُ، فقُلنا:« يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا أتَيناكَ نستَحمِلُكَ فحَلفتَ أن لا تَحملَنا ، ثمَّ حَملتَنا»، فقالَ: «واللَّهِ ما أَنا حَملتُكُم ، بلِ اللَّهُ حملَكُم ، إنِّي واللَّهِ ، إن شاءَ اللَّهُ ، لا أحلِفُ على يَمينٍ ، فأرى خيرًا منها إلَّا كفَّرتُ عَن يميني ، وأتيتُ الَّذي هوَ خيرٌ ، أو قالَ أتيتُ الَّذي هوَ خيرٌ ، وَكَفَّرتُ عَن يَميني».

وفي هذا أنَّ المؤمن لا ينبغي له أن يثبتَ على أمرٍ رأى غيرَه خيرًا منه.

آخَى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرداءِ، فرأى أُمَّ الدَّرداءِ مُتَبَذِّلَةً، فقال: ما شأنُكِ مُتَبَذِّلَةً؟! قالتْ: إنَّ أخاكَ أبا الدَّرداءِ ليس له حاجةٌ في الدُّنيا، قال: فلمَّا جاءَ أبو الدَّرداءِ، قرَّبَ إليه طعامًا، فقال: كُلْ، فإنِّي صائمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتَّى تأكُلْ، قال: فأكَلَ، فلمَّا كان اللَّيلُ، ذهَبَ أبو الدَّرداءِ ليقومَ، فقال له سَلمانُ: نَمْ؛ فنامَ، ثمَّ ذهَبَ يقومُ، فقال له: نَمْ؛ فنامَ، فلمَّا كان عِندَ الصُّبحِ، قال له سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فقامَا فصلَّيَا، فقال: إنَّ لنَفْسِكَ عليكَ حقًّا، ولِرَبِّكَ عليكَ حقًّا، ولِضَيْفِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لأهلِكَ عليكَ حقًّا؛ فأَعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، فأَتَيَا النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فذكَرَا ذلكَ، فقال له: صَدَقَ سَلمانُ.

من هنا يتبيَّن أنَّ العلم بالحقوق والموازنة بينها، وأن لا يكون قيامك بحقٍّ منها على حساب تضييع غيرها، هو أساس الفلاح والإصلاح العام.



قال أبو مسعود البَدْريُّ رضي الله عنه: «لما نزلت آية الصدقة، كنا نحامل» كأنه يشير إلى قول الله تبارك وتعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم»، وقوله: كنا نحامِل، أي نحمل لغيرنا على ظهورنا بالأجرة، بقصد التكسب حتى نُخرجَ الصَّدقة، وهذا وصفٌ لحالهم من الفقر والشدة في ذلك الوقت، في رواية قال: «فما يجد أحدنا شيئا يتصدق به، حتى ينطلق إلى السوق فيحمل على ظهره فيجيء بالمد فيعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم»؛ فأبو مسعود ومن هم في مثل حاله في ذلك الوقت، لم يكونوا واجدين ما يتصدقون به، وما يعملون به بهذه الآية الكريمة التي تأمر بالصدقة، فيذهبون يحملون الصدقات للناس حتى يكون لهم من المال ما يتصدَّقون به، أَبَوْا إلا أن يكونوا للزكاة فاعلين، فليس معنى كونك فاقدا لمؤهلات عمل أنك عاجز عن التأهل له، ومن يتصبَّر يصبِّرْه الله.

قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»، وهنا أمران رئيسان، أولًا، كما أن الغني حقا هو الله تبارك وتعالى، فالمراد بغنى النفس هنا غناها بالله الغني الحميد، وهو فقرها إلى الله تبارك وتعالى في كل شيء، ومن استغنى عن الناس بغير الله فهو فقير أيضا، سواءً استغنى بماله أو منصبه أو عشيرته أو غير ذلك، ولن يكون غنيًّا حقا إلا إذا كان غناه بفقره إلى الله، ثانيًا، إنَّما يصير الإنسان غنيًّا إذا سُدَّت فاقته ودُفِعتْ حاجته، ولن يستغني الإنسان عن الملهيات ومزاولة المعاصي ومَدَّ عينيه إلى متاع الدنيا إلا إذا مُلِئ قلبُه بطلب معالي الأمور والسبقِ إلى الله، وبقدر ذلك تنزاح عنه تلقائيًّا تلك الأمور، ويكون غنيًّا بالخير الذي يشغلُه وفي غنًى عن كل ما لا ينفعه مما يحتاجه غيره أو يفتقر إليه أو لا يتصور الحياة بدونه؛ فاللهمَّ ربَّنا أغنِنا بك وبفضلك عمَّن سواك، وصرِّفْ قلوبنا إلى طاعتك.

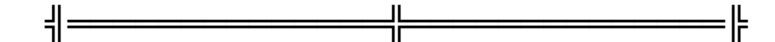
قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»؛ فمَحِلٌّ نظر الله تبارك وتعالى منك قلبُك وعملُك، فأخسرُ الناس عملًا من قضى عمره يصلح بدنه وجلده وشعره ومظهره وبيته وسيارته وهاتفه، ولم يسعَ لإصلاح قلبه وعمله الذي هو مَحِل نظر ربه، وهو الذي يُجازى به.

قال الرجل:«قتلت مائة نفس، فهل لي من توبة؟» فقال له العالم: «نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبدِ اللهَ معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء».

وفي هذا بيان أثر المكان والصحبة، أن طلب العبد لنفسه ولأهله وولده أن يقيموا بمكان يكونون فيه أقرب إلى طاعة الله وأبعدَ عن معاصيه، أمرٌ عظيم وإحسان يحتاج مجاهدة وعزمًا وصبرًا، لأنه في سبيل ذلك حتمًا سيبذل كثيرا من دنياه ويفقد كثيرا منها، ولذلك وعد الله تبارك وتعالى كل من يجاهد نفسه على ذلك ويصبر في سبيله حسنة في الدنيا، وجزاء وأجرا بغير حساب في الآخرة، قال الله عز وجل: «قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ وأرض الله واسعةٌ إنَّما يُوفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب»؛ فأعظم ما يطلب في مكان الإقامة التقوى والإحسان في العبادة، وليس ذلك مخصوصًا ببقع من الأرض دون غيرها، وإنما يختلف ذلك من شخص لآخر؛ فخير أرض لكل إنسان حيث يكون وأهله وولده أبرَّ وأتقى، فهذا ميزانك، فإن الأرض لا تقدِّس أحدًا، إنما يقدِّسُ الإنسانَ عملُه، وأنت بصير بنفسك، يمكنك أن تزن به شأنك، لا تحتاج في ذلك إلى من يُعرِّفك هل هذه الأرض خير لك أو هي شر عليك، واللهُ تبارك وتعالى لن يضيِّع عبدًا جعل معيارَه وبصيرته في قراراته رضا الله تبارك وتعالى. وكم من والد لا يشغله تلك الأمور، وإنما يطلب في مكان الإقامة المرتب، الحدائق، المواصلات، النظافة، الأصحاب، المحلات، المدارس، يشغله كل شيء إلا أمر دينه ودين أهله وولده! فتذكر هذا: خيرُ مكان لكل إنسان حيث يكون وأهله وولده أبر وأتقى!

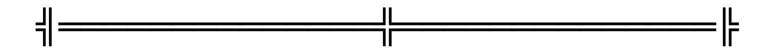
وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «مر رجل على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم» فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا «حَرِيٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يُستمع»، ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: «حَرِيٌّ إن خطب ألا ينكح، وإن شَفَع ألا يُشفَّع، وإن قال ألا يُستمع»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خيرٌ من ملء الأرض من هذا».

في هذا الحديث بيانُ أنَّ مقام المرء ومنزلته ليست بجاهه ولا ماله ولا سلطانه ولا بصورته عند الناس، وإنما هي بتقواه وصلاحه ومقامه عند ربه تبارك وتعالى، وكذلك ليس التفاضل بينهما بغنًى أو فقر، فإنَّ أكرم الناس عند الله أتقاهم. وفي بيان هذا، قال عتبةُ بن غزوانَ رضي الله عنه في ختام خطبته البليغة عن النهي عن الاغترار بالدنيا وفتنتها: «إني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا وعند الله صغيرًا!»، أعوذ بالله أي أعتصم به وأتحصن بالله أن أكون في نفسي عظيمًا بأنْ يوهمَني الشيطان أنَّ نفسي رفيعةُ المنزلة، وأن أكون في واقع الأمر عند الله خسيسًا حقيرَ المنزلة؛ فمنزلة العبد عند الله تبارك وتعالى بالتقوى والإيمان والعمل الصالح، فنعوذ بالله أن نكون في أنفسنا عظماءَ وعند الله صغارًا.



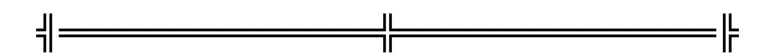
وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: بيْنَما رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في المَسْجِدِ فأقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فأقْبَلَ اثْنَانِ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وذَهَبَ واحِدٌ، فأمَّا أحَدُهُمَا، فَرَأَى فُرْجَةً في الحَلْقَةِ، فَجَلَسَ وأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: ألَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أمَّا أحَدُهُمْ: فأوَى إلى اللَّهِ، فَآوَاهُ اللَّهُ، وأَمَّا الآخَرُ: فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ منه، وأَمَّا الآخَرُ: فأعْرَضَ فأعْرَضَ اللَّهُ عنْه.

لذلك ألقِ بنفسك في طريق الله ولا تستحي ولا تعرِضْ؛ فربك يؤوي من آوى إليه!

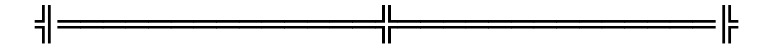


قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن تقوم حتى يغرسها فليغرسها» السؤال: لماذا يغرس الفسيلة إذا قامت الساعة؟ ومن المنتفِع؟ استشكل بعض الشراح هذا الحديث من هذا الباب، فلذلك حمله كثير منهم على قرب قيام الساعة، لكن الصواب -إن شاء الله- أنه يغرس الفسيلة وإن قامت الساعة؛ لأنَّ هذا هو مقتضى الحق والعدل، الحق في شأن الفسيلة أن تُغرَس، وإنْ لم ينتفع منها أحد، فهذا الحديث يعلِّمك أن تفعلَ ما ينبغي أن يُفعل، أن تفعل مُقتضى الحقِّ والقسط، دون أن تنظر إلى الآثار « وهو عند الله عظيم».

فذاك الأنصاري الذي بات هو وزوجه طاويَيْنِ من الجوع، وأكرم ضيف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، لما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن يدري منزلة عمله عند الله، بل لعله نسيه، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره أن الله ضحك، وفي رواية: عَجِب من فعله هو وزوجه، وأنزل فيهما قوله: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصةٌ ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المفلحون»



وفي كل ما تطلب، ليكنْ بين عينيك هذه الآية المحكمة: «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم.»



ومما ذكرناه عن الصحابة رضي الله عنهم، يظهر أنهم كانوا على أصول أربعة:

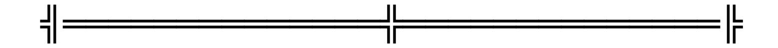
أولًا: الدين عندهم هو عصمة أمرهم، وأعظم ما يعيشون به وله، والدار الآخرة ورضوان الله أعظم ما يعملون له.

ثانيًا: القرآن وبيانه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هما أصل الهدى الذي يهتدون به، يحكمونه عليهم ظاهرا وباطنا، ويسلمون له تسليما بانشراح صدر، دون جدال أو اعتراض.

ثالثًا: المبادرة للاستجابة والعمل بما علموه، دون تردد أو مماطلة.

رابعًا: المداومة والثبات على الحق، لا يبدلون ولا تغيرهم الحوادث، ولا تفتنهم الدنيا.

وهذه الأربعة هي أخص ما ينبغي أن يُحيى في شباب أمة الإسلام، فأكثرهم غرَّته الحياة الدنيا وألهته وشغلته عن طلب العلم بدينه والاستقامة عليه، وإرادة الله والدار الآخرة،وكثير منهم لا يطلب الهدى في دينه وعمله من القرآن والسنة أصلًا، وإذا بلغه حكم عنهما اعترض وجادل فيه، وألقى الشبهات والإشكالات عليه، فلا يسلم له ولا يحكمه على نفسه، وكثير منهم وإن رضي حكم الله ورسوله، فإنه ضعيف العزم، يماطل في العمل به، ويتردد، ويختلق أعذارا للتهرب من العمل، ويغلبه هواه كثيراً، وكثيرمنهم وإن أراده وشرع فيه بالفعل، فليس لديه عزم يبقيه على الطريق، لا يكون ثابتا، بل تغيره الحوادث ويُفتن؛ لذلك فهذه الأربعة: الدين عِصمة الأمر وأساسُه، والاهتداءُ بالوحي والتسليمُ له، والمبادرةُ للاستجابة والعمل، والثباتُ في الأمر، من أعظمِ ما ينبغي أن يُبَثَّ في شباب الأمة، بل في كل مسلم، وأن يُبيَّن أسبابُه، وأن يُشجَّعَ عليه.



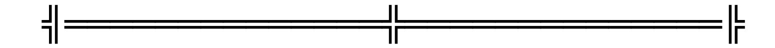
وختمتها لكم بهذه القاعدة العظيمة: «لا ملجأ من الله إلا إليه»!

لن تخرج من سخط الله إلا باستغفار وبالتوبة إليه، وبالعمل الصالح، فالسابق بالخيرات قد يضعُف، وقد يقصِّر، وقد يذنب، بل قد يقع في كبيرة، لكنَّه لا يرضى عن حاله! بل ينهض مرّةً أخرى ليستأنِف السَّبْقَ، فهو يعلم أن ربه كما أنَّه أهلُ التقوى، فهو أهلُ المغفرة، قال له النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يبشِّره بالتوبة: «يا كعب أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» سبحان الله! وبين المشهد الأول حينما قال كعبٌ رضي الله عنه: «فلما

رآني النبي صلَّى الله عليه وسلَّم تبسَّم تبسُّم المُغضَب»، وبين مشهد التوبة، قال: «فلمَّا سلَّمتُ عليه، كان وجهه يبرق بالسرور، وكان إذا سُرَّ استنار وجهُه حتَّى كأنَّه قِطعةُ قَمَر»، بين المشهدين قصة صدقٍ وصبرٍ واحتسابٍ ويقين، وما يُلقَّاها إلا الذين صبروا.



فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «سَلْني» فقال ربيعة بن كعب رضي الله عنه : «أسألك مرافقتك في الجنة» يعني أريد أن أتعلم الأسباب التي بها أكون رفيقًا لك في الجنة، كان ربيعة يقول عشت في صحبتك جنة في الحياة الدنيا، فلا يكتمل فرحي في جنات النعيم إلَّا أنْ أكون بجوارك، ونحن نرجو الله تبارك وتعالى بتعلُّمِنا لسنَّةِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُحييَنا الله على سنته، وأن يجعلنا معه في الجنة، قولوا آمين.



«ما يفتحِ الله للناسِ من رحمةٍ فلا مُمْسِكَ لها وما يُمسكْ فلا مُرسِلَ له من بعده وهو العزيز الحكيم»